

معركة البويب أسبابها ونتائجها

. عماد علي دايج الشمري
كلية الطب / جامعة الأنبار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الغر الميامين وعلى السادة التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ..

يعد البحث في التاريخ الإسلامي نبراساً لزهو الأمة وعظمتها ، وبياناً لأمجاد الأمة ومفاخرها ، لاستلهاام الدروس والعبر من مآثرها ، وعنواناً لمجد الأمة ونضجها على المستوى الفكري والعسكري ، وإبرازاً لأهمية فتوحاتها ومعاركها ، تظهر أهمية الكتابة في موضوع من الموضوعات التي طالما شغلت أذهان المؤرخين وسيطرت على تفكير المنشغلين بالبحث التاريخي ، فضلاً عن القادة الميدانيين للمعارك التي خاضها المسلمون مع أعدائهم ، من أجل نشر الدين الإسلامي الحنيف واتساع رقعة الخلافة الإسلامية ، التي وصلت إلى أقصى بلاد الأرض فأقاموا هناك الحضارات وشيّدوا المدن الإسلامية الكبيرة ، ودخل الناس في الدين الجديد أفواجا وجماعات ،

وجعل الله النصر على أيدي خلفائه في الأرض الذين أبلوا بلاء حسنا في كل ميدان من ميادين الحرب والمعارك ، وكان لهم صولات وجولات في سوح الوغى متسلحين بالإيمان وبتعاليم الإسلام الذي ملك عليهم حياتهم وأسر قلوبهم ، فهبوا مدافعين عنه ذائدين عن حماه في معارك كثيرة كانت إحداها معركة من أشرس المعارك وأكثرها ألا وهي (معركة البويب) .

وكان سبب اختياري لهذا الموضوع إظهار عظمة هذه المعركة في التاريخ الإسلامي ، ولا سميا في استكمال فتح وتحرير العراق .

وقد تضمن البحث مبحثين :

المبحث الأول : دوافع المعركة وتسميتها ويتضمن :

-أسباب المعركة .

-التسمية والموقع .

-المشاركون في المعركة من المسلمين .

-المشاركون في المعركة من غير المسلمين .

المبحث الثاني : التهيئة العسكرية للمعركة . ويتضمن :

- التهيئة للمعركة

- سير المعركة

- الخاتمة

- المصادر والمراجع

أسباب المعركة :

امتلأ المسلمون الفاتحون قوة دفع كبيرة جعلتهم يخرجون بالدين الإسلامي من حيز الجزيرة العربية إلى العالم رغبة في نشر هذا الدين . ورغم ضعف الإمكانيات فإنهم استطاعوا أن يواجهوا أكبر قوتين في العالم في آن واحد ، وأن يخوضوا حروباً متزامنة وعلى جبهات متعددة ، و يحرزوا انتصارات باهرة في الوقت ذاته .

منذ أن رفعت راية الجهاد على أرض السواد في بداية السنة الثانية عشرة من الهجرة على يد القائد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ، وخاض المسلمون معارك طاحنة ، متقاربة في التوقيت ، استطاع المسلمون ، أن يحققوا النصر فيها كلها ، حتى جاء يوم الجسر بعد أن تغيرت القيادة لحاجة الجبهة الشامية لعبقريه خالد بن الوليد وحنكته بفن القتال .

اذ أصبح القائد الجديد هو أبو عبيده الثقفي ، لقيادة جيوش المسلمين في العراق ، فحقق عدة انتصارات ، إلا أن حماسة أبي عبيده دفعته إلى أن يقع في خطأ تعبوي كبير قاده إلى هزيمة العرب المسلمين في معركة الجسر ، ومما زاد في الأمر سوءاً اذ قام أحد الجنود بقطع الجسر إدراكاً منه بأن قطع الجسر سوف يؤدي بالتالي إلى معاودة القتال والاستبسال في المعركة لكن النتيجة كانت عكسية حيث لم يجد المسلمين طريقاً لانسحابهم مما أدى إلى ارتباك جيش المسلمين فعاش حياة تفهقراً بين العدو وماء النهر فحاول المسلمون إعادة تنظيم صفوفهم إلا أن هذا التنظيم لم يجد نفعا () .

حيث أصيب الكثير من المسلمين بجراحات خطيرة وغرق الكثير منهم أثناء محاولاتهم إعادة ربط الجسر المقطوع ، ومن بينهم المثنى بن حارثة الشيباني ، وكذلك استشهاد مسعود بن حارثة الشيباني وكان من قادة المسلمين وشجعانهم ،

وهو أخو المثنى بن حارثة الشيباني ، قال المثنى : (يا معشر المسلمين لا يرعكم أخي ، فإن مصارع خياركم هكذا) وبذلك خسر المسلمون معركة الجسر وحسنت لصالح العدو .

وبعد أن فرح الفرس بهذا الانتصار ومازالوا في نشوة النصر حتى خرج في اليوم التالي لمعركة الجسر مباشرة قائدان من أكبر قواد الفرس وهما (جaban ومرادنشاه) للتنزه على ظهور الخيل فرحا بهذا الانتصار ، وظنا منهم أن المسلمين فروا من العراق ، ولكن القائد المثنى بن حارثة قد أخذ ببعض التدابير الاحترازية التي تمثلت في بث عيونه وجواسيسه في المنطقة خوفا من أن تصل إمدادات الجيش الفارسي إلى تلك المنطقة ، ونقلت تلك العيون التي بثها المثنى خبر خروج القائدين (جaban ومرادنشاه) ، للنزهة في قلة من حراسهم ، ولما تيقن المثنى من صحة الخبر خرج في جماعة من جنده فظفروا بالقائدين وأسروهما فتولى المثنى قتلها بنفسه في الحال^(١)، وكانت هذه عند منطقة أليس^(٢).

وقد ترك مقتل القائدين على يد المثنى أثراً بالغاً في نفوس الفرس مما أفسد عليهم نشوتهم وفرحهم .

وبعد أن تجمع أربعة آلاف من أنحاء الجزيرة العربية ، وجههم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى فارس ، وكانت أكبر هذه القبائل قبيلة بجيلة وعلى رأسها الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي ، وفي هذه الأثناء كان المثنى بن حارثة - وبعد الهزيمة الساحقة للمسلمين في موقعة الجسر - قد انسحب بقواته كلها إلى الحفير ، ولو بقي في مكانه لكان بإمكان الجيش الفارسي أن يبيده تماماً ، ولكنه انسحب في عمق الصحراء لكي يحتمي بها ويعيد تشكيل قوته وإعدادها إعداداً جيداً

لكي يكون قادرا على خوض معركة جديدة. ويعد هذا الأمر في غاية الحكمة والدراسة العسكرية التي امتاز بها المثنى بن حارثة الشيباني .

والذي يبدو أن المثنى بتصرفه هذا أراد شيئين : الأول : رفع معنويات الجيش وبنائه عقائدياً ، بعد الخسارة الكبيرة التي لحقت به في معركة الجسر .

والثاني : انتظار الإمدادات التي سوف تصله من المدينة المنورة لمواصلة القتال .

غير أن العدوما إن وصلتها المعلومات بتجمعات العرب المسلمين حتى أعدو العدة لإبادة ما تبقى من الجيش ضنا منهم بأن هؤلاء أصبحوا غير قادرين على القتال .

كان الفيرزان - وهو أحد قادة الفرس لكنه أقل درجة من رستم - قام بتمرد على رستم ، وكانت له قواته الأساورة ، وهم رجال الدين في فارس بالصلح بينهما وقالوا لهما : إن الخلاف بينكما هو الذي جرأ العرب علينا فيما تعانیه فارس من انقسام ومحن^(١).

واستجاب الإثنان - رستم والفيرزان - وذهبا إلى (بوران) بنت كسرى وطلبا منها توجيه جيش موحد من أجل القضاء على المسلمين في معركة فاصلة ، فوافقت (بوران) على هذا الأمر ، وخرج الجيشان من فارس ، وكان تعداد المقاتلين ما بين الستين والسبعين ألف عليهم من الفرسان ، ومعهم ثلاثة فيلة وعلى رأس الجيش قائد يسمى مهران بن باذان ، وكان أحد قادة رستم ، على معرفة من القبائل العربية جيداً ويعرفه العرب جيداً ، فقد تربي فترة من حياته في اليمن عندما كانت مقاطعة فارسية^(٢).

لقد ذكر الشعراء معركة الجسر في اشعارهم ومنهم الاعر العبدى حيث قال: ^(٣)

هاجت لأعور دار الحي أحزاننا واستبدلت بعبد القيس حسانا
وقد أرانا نها والشمل مجتمع أبالنخيلة قتلى جند مهرانا
إذا كان سار المثنى بالخيول لهم فقتل الزحف من فرس وجيلانا
سما لمهران والجيش الذي معه حتى أبادهم مثنى ووحدانا .
وهنا تتجلى مهارة الشعراء في وصف هذه المعركة التي تركت اثراً وجرحاً
عميقاً في نفوس المسلمين لولا ان تداركها الله في معركة البويب التي رفعت راس
العرب والمسلمين عالياً .

التسمية والموقع :

تسميتها : سميت معركة البويب نسبة إلى نهر كان بالعراق قريب من مكان
الكوفة اليوم ، وسميت بإسمه المعركة التي دارت عليه .
وذكر ياقوت الحموي : (أنه عند دار الرزق يأخذ من الفرات ، كانت عنده وقعة
أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
وكان مجراه إلى دار صالح بن علي بالكوفة ومصبه في الجوف العتيق)^(١) .
وقيل سميت نسبة إلى مكان كان في الكوفة أو مما يلي الكوفة . وكان بين
جيش المسلمين وجيش الفرس نهر الفرات^(٢) .
وقيل : سميت بيوم الأعشار ، لأن بعض من المسلمين قتل كل منهم عشرة
من الفرس^(٣) .

المشاركون في المعركة من المسلمين :

بعد أن جمع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قبيلة بجيلة لجريير بن عبد
الله البجلي وجعل لهم ربع ما ظهروا عليه من السواد^(٤) . وخرج جريير في قومه
حمداً للمثنى بن حارثة في العراق .

وقدما إلى عمر - رضي الله عنه - غزاة بني كنانة والأزد في سبعمائة جميعا ، فقال : أي الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا : الشام أسلافنا أسلافنا ! فقال : ذلك كفيتموه ، العراق العراق ! ذروا بلدة قد قتل الله شوكتها وعددها ، واستقبلوا جهاد قوم حووا فنون العيش ، لعل الله يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس . فقال : غالب بن عبد الله الليثي وعرفجة البارقي ، كل واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم : يا عشيرتاه ! أجيئوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وامضوا له ما يسكنكم . قالوا : غنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد^(١) .

وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرحه على العراق ، وأمر على الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرفجة إليهم ، فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما إلى المثنى ، وخرج هلال بن علفة التيمي فيمن اجتمع إليه من الرباب حتى أتى عمر ، فأمره عليهم وسرحه ، فقدم المثنى وخرج ابن المثنى الجشمي ، جشم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجهه وأمره على بني سعد ، فقدم المثنى^(٢) وجاء عبد الله بن ذي السهمين في أناس من خشعم ، فأمره عليهم وأرسله إلى المثنى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه ، وجاء ربعي في أناس من بني حنظلة ، فأمره عليهم وسرحهم حتى قدم بهم على المثنى ، فرأس بعد ابنه شيبث بن ربعي ، وقدم عليه أناس من بني عمر ، فأمره عليهم ربعي بن عامر بن خالد العنود ، وألحقه بالمثنى ، وقدم عليه قوم من بني ضبة ، فجعلهم فرقتين ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهوير ، وعلى الأخرى المنذر بن حسان ، وجاء عليه قرط بن جماح بن عبد القيس ، فألحقه بالأسد الجريح^(٣) .

المشاركون في المعركة من غير المسلمين :

كما شارك في معركة البويب أقوام أخرى من غير المسلمين منهم أناس من النمر نصارى وجلّاب جلبوا خيلا ، وكان على رأسهم أنس بن هلال النمري . وقالوا : نقاتل مع قومنا^(١) . ونصارى من بني تغلب ، وجلّاب جلبوا خيلا وعلى رأسهم عبد الله بن كليب بن خالد ، وابن مردي الفهري ، وقد قالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا ، وكانت نتيجة المعركة هزيمة الفرس .

وفي هذا دلالة على أن معركة البويب كانت معركة للتحرير لم تكن دينية فحسب بدلالة مشاركة أقوام من النصارى مع جيوش المسلمين لمقاتل الفرس لأنهم يمثلون خطرا على جميع الأديان والأوطان .

وذكر ابن الأثير : قول المثنى بن حارثة لأنس بن هلال النمري :
(إنك امرؤ عربي وإن لم تكن عربي على ديننا فإذا رأيتني قد حملت على مهران فاحمل معي)^(٢) .

وذكر أن غلاما نصراني من تغلب قتل مهران واستوى على فرسه وأنشد
(أنا الغلام التغلبي ، أنا قتلت المرزيان)^(٣) .

أولا : التهيئة للمعركة

كان لوقع الهزيمة الطارئة على المسلمين في معركة الجسر أثر بالغ في نفوس المسلمين ، ونفسية سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خاصة حتى إنه ظل أشهر طويلة لا يتكلم بشأن العراق ، نظرا لما أصاب المسلمين هناك ، مما جعل الخليفة يفكر في اتخاذ قرارات سياسية بشأن العراق .

ثم ما لبث أن أعلن النفير العام لقتال الفرس في العراق ، فتناقل الناس عليه ، وعندما رأى ذلك قرر أن يسير هو بنفسه للقتال والغزو ، مما أدى إلى إشعال روح

الحماسة في قلوب المسلمين . ورفع الروح المعنوية لديهم ، بعدما أصابهم الخجل والحزن مما حدث في معركة الجسر .

فقدمت عليه بعض القبائل من الأزد تريد الجهاد في الشام ، فرغبهم بالجهاد في العراق ، ورغبهم بغنائم كسرى والفرس ، وقدمت عليه قبيلة بجيلة ، وأشترطوا الجهاد بالشام ووجههم سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى العراق وينفله () ربع الخمس فأجابوا وسيرهم إلى المثنى بن حارثة () .

ومن القرارات السياسية الهامة التي اتخذها سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - تجميع قبيلة بجيلة ، وكانت متفرقة بين القبائل ، وذلك بناء على طلب سيدهم جرير بن عبد الله البجلي ، وصارت تلك القبيلة عماد الجيوش الإسلامية بالعراق () .

وقد سأل جرير بن عبد الله من قبل النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - يجمعهم فوعده ذلك ، فلما ولي أبو بكر - رضي الله عنه - تقاضاه بما وعده النبي - صَلَّى الله عليه وسلّم - فلم يفعل ، فلما ولي عمر - رضي الله عنه - طلب منه ذلك (دعاه بالبينة فأقامها له) فكتب إلى عماله أنه من كان ينسب إلى بجيلة قبل الإسلام ، وثبت عليه في الإسلام فأخرجوه إلى جرير ففعلوا ذلك () .

بعدما نشط الخلاف بين جرير بن عبد الله البجلي الذي أتى من اليمن في ركب من بجيلة ، رئيسهم عرفة بن هزيمة ، حليف لهم من الأزد ، فأمرهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بالنفوذ إلى العراق ، الخطاب - رضي الله عنه - وأمر عليهم عرفة فغضب جرير () .

وذكر الطبري في تاريخه : أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد استعمل عرفة على من كان مقيماً على جديلة من بجيلة ، وجريراً على من كان

من بني عامر وغيرهم ، وقد كان أبو بكر ولّاه قتال أهل عمان في نفر ، وأقفله حين غزا في البحر ، فولاه عمر عظم بَجيلة ، وقا : اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين : اسمعوا لجريير ، فقال جريير : بجيلّة تقرون بهذا - وقد كانت بجيلّة غضبت على عرفة في امرأة منهم - وقد أدخل علينا ما أدخل فاجتمعوا فأتوا عمر ، فقالوا : أعفنا من عرفة . فقال : لا أعفيكم من أقدمكم هجرنا واسلاما وأعظمكم بلاء وإحسانا ، قالوا : استعمل علينا رجل منا ، ولا تستعمل علينا نزيعا فينا ، فظن عمر أنهم ينفونه من نسبة فقال : انظروا ما تقولون . قالوا : نقول ما نسمع ، فأرسل إلى عرفة ، فقال : إن هؤلاء استعفوني منك وزعموا أنك لست منهم فما عندك ؟ قال : صدقوا ، وما يسرني أني منه . أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، في كهف لا يحصن عدد ، وحسب غير مؤتشب () .

فقال عمر - رضي الله عنه - : نعم الحي الأزد ! يأخذون نصيبهم من الخير والشر . قال عرفة : إنه كان من شأني أن الشرّ تفاقم فينا ، ودارنا واحدة ، فأصبنا الدماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لما خفتهم ، فكنت في هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فحفظوا عليّ لأمر دار بيني وبين دهاقينهم () () .

ومن القرارات السياسية التي اتخذها الخليفة .. العفو العام عن الجنود الفارين من معركة الجسر ، والذين هاموا على وجوههم والذين تركوا الأسد الجريح المثنى بن حارثة ولم يبق معه سوى ثلاثة آلاف فقط .

فسمح الخليفة لأول مرة لمن سبقت رده بالاشتراك مجاهدا في سبيل الله ، وذلك بعد أن حظر عليهم الاشتراك في الفتوحات ، وكان كثير منهم يتحرق شوقا لذلك تكفيرا عن خطيئته السابقة () .

وبالفعل فقد كان لهؤلاء دور كبير في معركة الجسر وما تبعها من معارك ، إذ قاتلوا باستبسال عال جدا وكان لهم دور فاعل في تسطير أروع الملاحم البطولية . إن كل هذه الإجراءات التي اتخذها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد أتت ثمارها إذ عضد المثني بالمدد الكافي ورصف الجيش ورفع من روحهم المعنوية وأدار دفة الحرب .

ثانيا : سير المعركة :

دارت المعركة في رمضان سنة هـ / م بين المسلمين بقيادة المثني بن حارثة الشيباني وبين الفرس بقيادة مهران الهمذاني () . وهناك رواية أخرى مفادها أن المعركة حدثت في من رمضان سنة هـ / الموافق سنة () .

والذي عليه أكثر المؤرخين أنها وقعت سنة هـ . وكان مع المثني بن حارثة الشيباني ثلاثة الاف ممن بقي معه من معركة الجسر بالإضافة إلى الإمدادات التي أرسلها الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى لخوض المعركة القادمة مع المجوس ، وسار جرير بن عبد الله البجلي مع أناس من بجيلة نحو العراق ، ولحق جرير بناحية الأبلّة ثم صعد إلى ناحية المدائن ، ووصل خبر قدوم جرير إلى مرزبان المدائن وكان في عشرة الاف من فارس من الأساورة () * ، فقالت بجيلة لجرير : (ابر الدجلة إلى المدائن ، فقال : ليس ذلك بالرأي ، وقد مضى لكم في ذلك عبرة بمن قتل من إخوانكم يوم الجسر ، ولكن أمهلوا القوم ، فإن جمعهم كثير حتى يعبروا إليكم ، فإن فعلوا فهو الظفر إن شاء الله تعالى ، فأقامت الفرس أياما بالمدائن ، ثم أخذوا بالعبور ، فلما عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن تسرع معه من بجيلة ، فثبتوا ساعة ، فقتل

المرزيان ، وأخذهم السيف ، وغرق أكثرهم في دجلة ، وغنم المسلمون ما كان عندهم () .

وبلغ الخبر رستم والفيروزان ، وأتتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعوا على أن يبعثا مهران الهمداني إلى الحيرة فسمع المثنى ذلك وهو بين القادسية وخفان فاستبطن فرات بادقلي () وكتب إلى جرير وكل من أتاه ممداله ، أنا جاءنا أمر لم نستطع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا للحاق بنا ، وموعدكم البويب () .

وقال : خذوا على الجوف ، فسلخوا القادسية والجوف ، وسلك المثنى وسط السواد ، فطلع على النهرين ثم على الخورنق () ، وطلع عصمة على النجف ، ومن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوف ومن سلك معه طريقه ، فأنتهوا إلى المثنى ، وهو على البويب ، ومهران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمعت جيوش المسلمين غرب نهر الفرات وجيوش الفرس شرق الفرات .

فقال مهران : أما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم ! فقال المسلمون : بل اعبروا إلينا . فعبرت الفرس إليهم فتواقفوا ، وذلك في شهر رمضان ، وقال المثنى للمسلمين : عليكم بالفطر فأفطروا عن آخرهم ليكون أقوى لهم ، وعبأ الجيش وجعل يمر على كل راية من رايات الأمراء على القبائل ويعظهم ويحثهم على الجهاد والصبر والصمت والثبات () .

وفي القوم جرير بن عبد الله البجلي في بجيلة ، وجماعة من سادات المسلمين ، وقال المثنى لهم : إني مكبر ثلاث تكبيرات فتهيأوا ، فإذا كبرت الرابعة فاحملوا ، فقابله قوله بالسمع والطاعة والقبول . فلما كبر أول تكبيرة عاجلتهم الفرس فحملوا حتى غالقوهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ودارت معركة بين الطرفين حامية

الوطيس وركدت الحرب ، ورأى المثنى في بعض صفوفه خللاً ، فبعث إليهم رجلاً يقول : الأمير يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : لا تفضحوا المسلمين اليوم .

فاعتدلوا ، فلما رأى ذلك منهم - وهم بنو عجل - أعجبهُ وضحك ، وبعث يقول : يا معشر المسلمين ، عاداتكم ، انصروا الله ينصركم^(١) .

وأقبل الفرس في ثلاثة صفوف مع كل صف فيل ورجلهم أمام فيلهم ولهم زجل^(٢) فقال المثنى للمسلمين : إن الذي تسمعون فشل فألزموا الصمت [وائتمروا همساً] ، ودنوا من المسلمين ، وطاف المثنى في صفوفه يعهد إليهم . وهو على فرسه (الشموس) وإنما سمي بذلك للينه وكان لا يركبه إلا إذا قاتل فوقف على الرايات [رايةً رايةً] يحرضهم [ويأمرهم بأمره] ويهزمهم [بأحسن ما فيهم] ، ولكلهم يقول : (إني لأرجو أن لا يؤتى الناس من قبلكم اليوم ، والله ما يسرني اليوم لنفسي شيء إلا وهو يسرني لعامتكم) فيجيبونه بمثل ذلك ، وأنصفهم من نفسه في القول والفعل وخط الناس في المحبوب والمكروه فلم يقدر أحد أن يعيب له قولاً ولا فعلاً^(٣) .

فلما طالمت مدة الحرب جمع المثنى جماعة من أصحابه الأبطال يحمون ظهره، وحمل على مهران فأزاله من موضعه حتى دخل الميمنة ، وحمل غلام من بني تغلب نصراني فقتل مهران وركب فرسه^(٤) .

قال محمد بن إسحاق : بل حمل عليه المنذر بن حسان بن ضرار الضبّي فطعنه واحتز رأسه جرير بن عبد الله البجلي ، واختصما في سلبه ، فأخذ جرير السلاح وأخذ المنذر منطقته^(٥) .

وذكر المسعودي : أنه تنازع جرير وحسان في أيهما القاتل لمهران ، وقد كان جرير ضربه بعد أن طعنه حسان ، ولحسان في ذلك أبيات^(٦) :

ألم ترني خالستُ مهران نفسه بأسمر فيه كالخلال طريرُ

فخر صريعا والتقاني برجله وبادر في رأس الهمام جرير
فقال : قتيلى ، والحوادث جمة وكاد جرير للسرور يطير
فقال أبو عمرو : وقتلي قتلتيه ومثلي قليل والرجال كثير
فأرسل يمينا أن رمحك ناله وأكرم أن تحلف وأنت أمير

وهربت المجوس وركب المسلمون أكتافهم يقصلونهم فصلا ، وسبق المثنى بن حارثة إلى المعبر ليمنع رجوع الفلول المنهزمة من الجيش الفارسي ليتمكن المسلمون من قتلهم ، فركبوا أكتافهم بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ، ومن الغد إلى الليل ، وقيل : إنه قتل منهم يومئذ وغرق نحو مائة ألف^(١).

ويبدو - والله أعلم - أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن الجيش الفارسي لم يكن عددهم بهذا الحجم . وأن ما ذكر أريد به التعبير عن كثرتهم وليس إحصاؤهم . وهنا تبين أن القائد المثنى بن حارثة قد استفاد مما حدث في معركة الجسر وتجنب أن يقع بنفس الخطأ الذي وقع فيه أبو عبيده من قب .

التي خسر فيها المسلمون بسبب عبور الجسر نحو الفرس . فقد استفاد المسلمون من هذا الدرس ، فأوقعوا الهزيمة في صفوف الجيش المجوسي ، ولما رأى تفهقر الفرس ، انطلق كالسهم مخترقا صفوف الفرس الراجعة على الفرس ، ووقع الفرس بين كماشة المسلمين . أخذا بنصيحة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب.

- رضي الله عنه - لقادة الفتح بعد معركة الجسر بوصية نافعة فقال : (لا يعبر المسلمون بحراً ولا جسراً إلا بعد ظفر)^(٢).

ودب الفزع والذعر ورأوا أنفسهم لا ملجأ لهم ولا مفر من سيوف المسلمين ، واستمر المسلمون يطاردون فلول المنهزمين من الفرس يوما وليلة ، حتى أبادوا البقية الباقية ، وانتصر المسلمون انتصاراً باهراً ، وكان هذا الانتصار الرائع في البويب

من أعظم الفتوحات والانتصارات التي حققها المسلمون ، وكانت هذه المعركة بالعراق نظير معركة اليرموك التي وقعت بالشام ، ولولا شهرة معركة القادسية لكانت معركة البويب هي أشهر وأعظم معارك المسلمين^(١).

الخاتمة :

- على قادة الجيوش التحلي بالصبر والثبات والشجاعة وعدم الاستعجال في اتخاذ القرارات التي تحدد مصير الأمة . وتقدير المصلحة العامة على المصلحة الخاصة وهوى ورغبات النفس ، وإن كانت في الحصول على الشهادة نفسها .

- إن وقع الهزيمة في معركة الجسر كان كبيرا على المسلمين مما جعلهم يتحفزون لملاقاة الفرس أخذ بالتأثر وحبا في الشهادة وإعلاء راية الإسلام .

- لقد برهن المسلمون على أنهم تعلموا من أخطائهم السابقة ، ليستفيدوا في مواجهات المستقبل التي ما زالت تتكرر وتقع على المسلمين عملا يقول الرسول - صَلَّى الله عليه وسلَّم : (لا يلدغ مؤمن من جحر مرتين)^(٢) ومن ذلك محاولة القائد الفارسي مهران استدراج قائد المسلمين المثنى بن حارثة لئن يقع في الخطأ الذي وقع فيه قائد معركة الجسر أبو عبيدة الثقفي ، وعرضة عليه أن يعبر المسلمون نهر الفرات لتكون المعركة في الضفة الشرقية لنهر الفرات ، ليكون المسلمون محاصرين بين الضغط الفارسي أمامهم ومياه النهر في ظهورهم .

- ومن أسباب نصر الجيوش أن يكون الجنود في طاعة كاملة لأوامر القائد الحكيم الفقيه وتنفيذ أوامره ولزوم طاعته ، ومن ذلك طاعتهم للقائد المثنى بن حارثة عندما طلب من جيش المسلمين أن يفطروا ، لأن المعركة كانت

- في شهر رمضان والصوم يضعف قوة المقاتل في المعركة فنأدى في الجند : أنكم صوام ، والصوم مرهقة مضعفه ، وأنني أرى من الرأي أن تفطروا ، تقووا بالطعام على قتال عدوكم . فأطاع الجند وأفطروا جميعا .
- ومن أسباب نجاح المعارك أن يكون الجندي مؤمنا بالقضية التي يقاتل من أجلها ، لذلك انتصر المسلمون في معركة البويب لعقيدتهم السليمة وإيمانهم المطلق بقضيتهم .
- وكان من أسباب نجاح المسلمين في معركة البويب ، اللياقة العالية ، والكفاءة في التدريب ، والقدرة على تحمل المشاق ، وأجادته حرب الكر والفر التي
- اكتسبوها من الحياة العربية على خلاف الجيوش النظامية في فارس والروم التي لا تعرف إلا أسلوب الحرب المنظمة .
- ومن عوامل كسب المعركة قدرة المسلمين على التوظيف العالي لما يمتلكون من عناصر القوة والطاقة الروحية التي انطلقوا بها جعلتهم يتغلبون على الفارق الكبير في ميزان القوة العددية والتسلح .
- ومن سمات هذه المعركة أنها معركة قومية اشترك فيها من العرب غير المسلمين إذ عدوها معركة وجود وليست معركة عقائدية دينية .
- إن البويب هو نهر صغير يأخذ من الفرات وهو في الكوفة سميت المعركة التي دارت عليه بإسمه ، وهو غير البويب الذي جاء في قصيدة السياب النهر والموت وهو نهر صغير يقع في البصرة في قضاء أبي الخصيب ويصب في شط العرب .

- من انعكاسات معركة البويب على المسلمين ، بأن فتحت أبواب العراق من جنوبه إلى شماله إمام جيوش المسلمين فأصبحت مفتاحاً للنصر في معركة القادسية .

الهوامش :

- (1) اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي (هـ)
تاريخ اليعقوبي ، علّق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - هـ - : / . ينظر: الذهبي الامام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي (توفي هـ) ، سير اعلام النبلاء اشرف على تحقيق الكتاب وخرج احاديثه شعيب الارنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان الطبعة الاولى هـ - / .
() ينظر اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي : / ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / الحموي ، الشيخ الامام شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الاولى م ، الطبعة الثانية ، بيروت : / ، ابن كثير ، للامام الجليل الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير

- الدمشقي (هـ) ، البداية والنهاية ، تحقيق : مصطفى بن العدوي ، دار ابن رجب ، الطبعة الأولى ، هـ - : / .
- () أليس : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، بعده ياء وسين مهملة ... بلدة بالأنبار في أول أرضي العراق من ناحية البادية كانت فيها وقعة بين المسلمين والفرس في شهر رمضان سنة هـ ، عرفت بوقعة الجسر . (الحميري ، محمد بن عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، القاهرة (: ، البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق : جمال طلبة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (: / - ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الكبير - حرف الهمزة : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : سعيد محمد اللحام ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، هـ - : / وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / وما بعدها .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر : / ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / وما بعدها .
- () المصدر السابق .
- () الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (هـ) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط : / .
- () الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ، بلا : / ، وابن كثير ، للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (هـ) ، البداية والنهاية ، دار ابن رجب ، الطبعة الأولى ، هـ - : / .
- () البلاذري ، فتوح البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، هـ - م ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / .

- (1) المسعودي ، مروج الذهب : / ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / .
- (1) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / - .
- () المصدر السابق .
- () ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، ابن الأثير ، للإمام أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (هـ) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، : / .
- () ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / .
- تبن كثير ، البداية والنهاية : / .
- (1) النفل : ما شرع زيادة على الفريضة والواجب ، إبراهيم مصطفى وآخرون . المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، استانبول ، تركيا ، : .
- () المسعودي ، مروج الذهب : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / - .
- ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، بلا تاريخ : / .
- () ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / .
- () اليعقوبي ، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي البغدادي ، (هـ) تاريخ اليعقوبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط هـ - : / .
- فوزي ، فاروق عمر ، تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الإسلامية (هـ / هـ - /) ، مكتبة النهضة ، بغداد الطبعة الأولى - .
- () غير مؤتثب : أي مخلوط غير صريح في نسبه .
- () دهاقنتهم : دهب الكأس : كجعل - وأدهقها : ملأها . وكأس دهاق : ممثلة ، وماء دهاق : كثير . وأدهقه : أعجله . الدّهقان : الكسر والضم : القوي على التصرف مع جدّة التاجر

- ، وزعيم والتاجر ، وزعيم فلاحى العجم ورئيس الأقلية - مقرب جمع دهاقنة ودهاقين . الزاوي ، طاهر أحمد ، مختار القاموس ، الدار العربية للكتاب : .
- () اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى : / ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : / .
- () الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : / .
- () الطبرى : تاريخ : / . ابن الأثير ، الكامل : / وما بعدها . ابن كثير البداية والنهاية : / - .
- () اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى : / . عماد عبد السلام رووف ، فاضل عبد الواحد على ، الرواي ، فاروق ناصر ، وآخرون ، سامى سعيد الاحمد، رضا جواد الهاشمى ، الصراع العراقى الفارسى ، بغداد ، - .
- () لأساورة : جمع لكلمة الأسوار ، وهى كلمة فارسية معناها الفارس والقائد فى الجيش ، إبراهيم مصطفى ، وآخرون ، المعجم الوسيط : .
- () المسعودى ، مروج الذهب : / - .
- () بادقلى : بالقاف بعد الدال ، على مثال بادولى : موضع مذكور فى رسم الغميس . البكرى ، معجم ما استعجم : / .
- () اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى : / - ، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : / ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ : / .
- () الخورنق : قصر للنعمان الأكبر . البكرى ، الوزير الفقيه أبى عبيد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى (هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، حققه وقدم له وصنع فهارسه الدكتور جمال طلبة ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط هـ - : / ، الزاوي ، مختار القاموس : .
- () الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : / ، ابن كثير ، البداية والنهاية : / .
- () الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك : / ، وابن الأثير ، الكامل فى التاريخ : / المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر : / .

- () زجل : الزُّجْلَة : صوت الناس والقطعة من كل شيء ، وزجْلُهُ : رماه ودفعه . وزجل الحمام : أرسلها على بُعد وهي حَمَام الزَّاجِل والزَّجَال والزَّجَل - محرّكة - اللعب والتطريب ورفع الصوت - زجل - كفرج . الرازي ، طاهر أحمد ، مختار القاموس : .
- () ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / ، ابن كثير ، البداية والنهاية : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / .
- () ابن كثير ، البداية والنهاية : / .
- () المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر : / .
- () الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، وابن كثير ، البداية والنهاية : / .
- () ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / وما بعدها .
- () ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك : / ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : / ، المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجواهر : / - .
- () البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي (هـ) صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، بلا تاريخ ، كتاب الأدب ، (باب لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ ، مرتين) ، رقم الحديث : : . حيث ورد الحديث عند البخاري بزيادة لفظ (واحد) . مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (هـ) ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، طبعة كاملة لنوان ، الطبعة الأولى ، هـ - م ، رقم الحديث : : .